شرح
الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب

تأليف
أحمد بن محمد الصقعوب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، بعث رسوله بالهدى ودين الحق، فبلَّغ البلاغَ المبين، وقرَّر أصولَ الدين، وترك الأمةَ على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وجعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يجددون للأمة معالم دينها ويكشفون شبهات أهل الزيغ والهوى.

والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن **(الأصول الثلاثة)** رسالة مختصرة مفيدة، قرَّر المؤلف فيها أصول الدين التي لا يسع المسلمَ جَهْلُها.

فقرَّر الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبد في قبره، وعليها مَعْقِدُ فلاحه أو خسارته، فبيَّن مَنْ هو الرب؟ وكيف تتعرف عليه؟ وما الذي يجب له جلَّ وعلا، ثم بيَّن مَنْ هو الرسول ﷺ؟ ونَسَبُه، وما الذي يجب له؟ ثم بيَّن الإسلام ومراتبه وأركانه؟ كل هذا بيَّنه رَحِمَهُ اللَّهُ بعبارةٍ واضحةٍ وأسلوبٍ سهلٍ مع قرنه بالأدلة من الكتاب والسنة.

ومؤلف هذه الرسالة هو الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في العيينة وسط جزيرة العرب عام (١١١٥هـ).

❑ ونشأ في بيت علم ودين، وكان أبوه وعمه إبراهيم من علماء نجد المعروفين.

❑ وحفظ القرآن قبل العاشرة، ثم اشتغل بالعلم على والده، وأكبَّ على المطالعة والأخذ عن الشيوخ.

❑ وعني عناية خاصة بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم، وكان لكتبهما أكثر الأثر في تكوين شخصيته العلمية المتميزة، مع سلامة المنهج وصحة العقيدة وسعة الأفق، مع البعد عن الجمود والتعصب، والتحرر من البدع، مع ما وُهِب من عنايةٍ ربانيةٍ، وذكاءٍ وفطنةٍ، وزكاءِ نفسٍ، وجدٍّ، وعلو همةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي الزمان الذي نشأ فيه كانت البدع منتشرة في نجد وسائر أقطار جزيرة العرب، والسنة وأهلها غرباء، فهَيَّأ اللهُ هذا الرجل ليكون من مجددي هذه الأمة، كما روى أبو داود أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(١).

فجعل على عاتقه نشر العقيدة الصحيحة، وبيان ما يضادها من شركيات وبدع، فعانى الأمَرَّين، وتنقَّل بين القرى والمدن داعيًا ومرشدًا إلى هذا الأمر، فجاهد في سبيل الله، وأرسل الرسائل، وألَّف الكتب؛ لبيان الدين الحق الذي بُعِث به محمد ﷺ حتى أظهر الله السنة، وقمع البدعة، وقامت دولة الإسلام فَتِيَّةً ثابتةً.

(١) رواه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. صححه الألباني في الصحيحة (٢/ ١٤٨).

وما زال المسلمون ولله الحمد إلى هذا الزمن يقطفون من ثمار هذه الدعوة المباركة الخيرات.

❑ وتوفي عام (١٢٠٦هـ)، وعمره إحدى وتسعين سنة قضاها في العلم والجهاد، والدعوة والعبادة رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ **ومن المفيد عند شرح الأصول الثلاثة مراعاة عددٍ من الأمور:**

١- بيان الأصول والمسائل التي وضع المؤلف لأجلها هذه الرسالة القيِّمة.

٢- شرح الألفاظ، وتفسير الآيات من غير إطالة.

٣- بيان دلالاتها وأسرارها، وأثر ذلك في القلب وقوة الإيمان واليقين.

٤- غرس هذه المعاني في القلوب عبر ما تطرحه من أمثلة وشواهد، فمثلًا:

❑ بيان قدرة الله وعظمته وصفاته التي تملأ القلب محبةً وخوفًا وتألهًا وإخلاصًا.

❑ بيان أخلاق النبي ﷺ وجهاده وفضله وحلمه وعلمه، وما ينبغي أن يُعامل به، وحال السلف مع ذلك؛ لتمتلئ القلوب بمحبته وإجلاله واتباعه وعدم مخالفته.

❑ بيان مزايا الإسلام ونعمة الله على العبد به، وبيان فضله بمقارنته بغيره من الأديان الأخرى؛ ليظهر الفرق بين الإسلام وغيره، في توحيد الله، ويُسر التكاليف، وربانية الأحكام، وشمولية المنهج، وعالمية الرسالة، وأبدية الديانة وأنها خاتمة الأديان، والثواب الأخروي، والتمكين الدنيوي، وغيرها

من الأمور -والعلم عند الله-.

❑ **وقد بنى المؤلف هذه الرسالة على أمور ثلاثة:**

أولًا: ذَكَر أربع مسائل من مهمات العلم.

ثانيًا: ذَكَر بعدها ثلاث مسائل عظيمة يجب على كل مسلم معرفتها.

ثالثًا: ذَكَر بعدها الأصول الثلاثة التي لأجلها وضع هذه الرسالة.

والمسائل الأربع التي قدَّم بها مدارها على الاهتمام بالأصول الثلاثة، والعناية بها، وكيفية التعامل معها.

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم).

ابتدأ بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ﷻ حيث بُدئت كل سورة بها إلا سورة التوبة؛ لأنها براءة من أهل الزيغ والضلال والنفاق، واتباعًا لهدي الرسول ﷺ؛ حيث كان يبدأ بها مكاتباته، كما في كتابه لهرقل[(١)]، وكتابه في صلح الحديبية[(٢)].

قوله: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ).

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه. ورواه مسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

افتتح كتابه بوصية عظيمة مدارها على أصول الدين الثلاثة، **وهي معرفة الرب والنبي** ﷺ والدين، ومعرفة هذه الأصول الثلاثة، والعمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الاعتقاد والعبادة والاتباع، ودعوة الخلق إلى تحقيقها، والصبر على ما يلاقيه العبد في سبيل العمل بها، هو أساس دين الإسلام ولب دعوة الرسول ﷺ.

قوله: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-).

المؤلف غالبًا ما يبدأ كلامه بالدعاء بالرحمة لطالب العلم، وهذا من حسن طويته ومحبته الخير للمسلمين، وهكذا ينبغي أن يكون المعلم والداعية، كما قال الله عن رسوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

قوله: (الأُولَى: الْعِلْمُ).

العلم أنواع: فمنه ما هو فرض عين ولا يسع المسلمَ جهلُه: وهو معرفة أصول الدين وأركانه، وما لا يقوم الدين إلا به، فيجب على المسلم أن يتعلم ما يقوم به دينه، فيعرف أركان الاسلام والإيمان. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله، صلاته وصيامه ونحو ذلك»[(١)].

ومن آكد العلوم تعلم الأصول الثلاثة؛ لأنه لا يتم الإسلام إلا بها، وهي

(١) الفروع لابن مفلح (٢/ ٣٤٢).

التي يُسأل عنها في قبره، فالعبد إذا عرف ربَّه ودينَه ونبيَّه صحَّ دينه.

ومن العلوم ما هو فرض كفاية: وهو ما لا يعتبر من أصول الدين التي يحتاجها المسلم لقوام دينه من علوم الشريعة، فهذه يجب أن ينبري لتعلمها طائفة وهم في ذلك مأجورون مثابون، لكن لا يجب على كل الأمة تعلمها، كما يجب في أصول الدين.

بيَّن المؤلف العلم الذي يعنيه هنا بـ:

قوله: (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ).

وهو أن يعرف العبد ربه، فيعرف أسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته معرفة تجعله يعبده وحده، ويتعلق قلبه به، فلا يدعو غيره، ولا يعبد سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ويحبه ويخافه ويخشاه، وهذا أشرف العلوم، وأهله أخشى الناس وأتقاهم، فعلى قدر ما يكون في القلب من معرفة الرب جلَّ وعلا، يمتلئ محبةً وخوفًا وتألهًا. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم بالله نوعان:

الأول: العلم بالله جلَّ وعلا: بأن يتعرف على صفات ربه من قدرة، ورحمة، وكرم، وقوة، وغنى، وإحاطته بالخلائق، وقيامه على الأمور، ويعرف صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، ويؤمن بها على ظاهرها كما يليق بجلال الله، ويتعرف على أسمائه الحسنى ويتدبرها ويستشعر معانيها، وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب لصاحبه خشيةً وتعظيمًا لا محالة، ولذا قال الرسول ﷺ: «**وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي**»

رواه مسلم[١].

وهذا علم عظيم، وقد كان السلف يتواصون به؛ لأنه يتعلق بالرب جل وعلا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علمًا، وبالاغترار بالله جهلًا»[٢]؛ فثماره على النفس والعمل والقلب ظاهرة، ومع ذلك فكثيرٌ من الخلق عنه غافلون مع أنه من العلوم العظيمة القدر التي يعظم على العبد نفعها في الدارين، وهي حجاب كثيف يمنع من التقصير في جنب الله والوقوع في حدوده؛ ولذا قيل: «ما عصى اللهَ إلا جاهل» أي: جاهل بعظمة الرب وقدره، وإن لم يكن جاهلًا بأحكامه وشرعه، قيل للشعبي رحمه الله: أيها العالم. قال: «لست بعالم، إنما العالم من يخشى الله».

الثاني: العلم بشرع الله وأحكامه من حلال وحرام.

فيعرف الأحكام والواجبات والمحرمات، وهذا نوع عظيم حثَّ الشرع عليه.

والناس مع هذين النوعين من العلم أربعة أصناف:

الأول: عالم بالله وبأحكام الله، فهذا أفضلهم.

الثاني: عالم بالله، وجاهل بأحكام الله.

الثالث: عالم بأحكام الله، وجاهل بالله.

---

(١) رواه مسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٢).

الرابع: جاهل بالأمرين جميعًا.

فعلى العبد أن ينظر موقعه من هذه الأقسام الأربعة.

قوله: (وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ).

من العلم الواجب أن يعرف العبد نبيه، فيُقرُّ بثلاثة أمور:

الأول: أنه عبدُ اللهِ ورسوله.

الثاني: أن يمتلئ قلبه بحبِّه وطاعته.

الثالث: أن يُصَدِّقه في أخباره، ويُطيعه في أوامره، ويتبعه في هديه.

قوله: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بالأَدِلَّةِ).

من الواجبات المحتمات على المسلم معرفة دينه: الإسلام، وأنه هو الدين الحق من عند الله، وبه خُتمت الأديان، فلا يُقبل من أحد دينٌ سواه، ويعرف الأحكام التي لا يسعه جهلها من توحيد وفرائض.

قوله: (بالأَدِلَّةِ).

أي: يجب على العبد أن يتعرف على برهان ودليل هذه الأصول الثلاثة من الكتاب والسنة ليكون على يقين منها.

قوله: (الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ).

هذا ثمرة العلم، وهو العمل بما عَلِمَهُ من هذه الأصول.

أما الرب: فيعبده وحده، ولا يشرك به شيئًا.

وأما الرسول ﷺ: فيطيعه بما أمر، ويُصدِّقه فيما أخبر، ويجتنب ما عنه نهى وزجر، ولا يعبد الله إلا بما شرع.

وأما الدين: فلا يبغي به بدلًا، ويرضى به، ويوقن أنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذه مرتبة العمل بما تعلَّمه من هذه الأصول.

قوله: (الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيهِ).

إذا عرف المسلم هذه الأصول، فعليه أن يسعى لإنقاذ الناس من الكفر والضلال، فيدعوهم إلى معرفتها؛ لأنها معقد النجاة، والدعوة إلى الله ودينه وظيفة المرسلين، فما من نبيٍ إلا دعا إليه، وهكذا يجب على أتباعهم أن يقوموا بهذه الوظيفة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوله: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ).

وذلك بأن يوطن المسلم نفسه على تحمل الأذى في سبيل نشر الدين، فطريق الدعوة محفوف بالمكاره، والأنبياء والمرسلون أوذوا في سبيل الله، فمنهم: من قُتِل، ومنهم: من طُرِد، ومنهم: من سُجِن، ومنهم: من جُلِد، وكلهم عودوا وأوذوا وحوربوا، وهكذا أتباعهم أصابهم ما أصابهم فصبروا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

فعلى الداعية أن يتجمل بالصبر على ما يلاقي من الناس، فكل ما يُصيبه في هذا السبيل مأجور عليه، وله قدوة بالأنبياء، ففي الصحيحين أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه حتى أدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(١).

فهذه القواعد الأربع على المسلم أن يفقهها ويتأملها ويسأل نفسه ماذا عنده منها؟، فقد أقسم الله عز وجل أن جنس الإنسان في خسارة إلا من عرف الحق، وعمل به، ودعا إليه، وصبر على الأذى فيه، فتوفرت فيهم هذه الخصال الأربع، وهي:

(١) رواه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

١- الإيمان.

٢- العمل الصالح.

٣- التواصي بالحق، والدعوة إليه.

٤- الصبر على ما يلاقون والتواصي بالصبر

والسلف مُجْمعون على أن العالِمَ لا يستحق أن يُسمى ربانيًّا حتى يعرف الحق ويعمل به ويُعَلِّمه، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّم يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات[١].

قوله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر]، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ»[٢]).

هذه سورة عظيمة فيها بيان سبيل النجاة من الخسارة وطريق الفوز والفلاح؛ لما تضمنته من الحثِّ على التمسك بدين الله بالإيمان به، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٩)، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦).

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١١٢) بلفظ: «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم».
وابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦) بلفظ: «لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم».

ومراد الشافعي: لكفتهم في الحث على هذه الأمور المذكورة، وليس المراد لكفتهم في بيان الشرائع كلِّها، والأمر كما قال.

قوله: (وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ»[1] قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

في هذا بيان أن العلمَ أساسُ العمل، وأن العملَ على جهلٍ يوقع العبدَ في المحرَّم وهو لا يدري، فالعلمُ بالشيء سابقٌ للعمل به وللدعوة إليه، وهذا دليلٌ على فضل العلم والتعلم، وأمرٌ بطلب العلم وذم المعرضين عنه.

فالعلم مقدَّم وأساس؛ لأن هذا دين، فلا عمل بلا علم، ولا دعوة بلا علم، ولا تربية بلا علم، ولا جهاد بلا علم، فالعلم والبصيرة أساسها وأصلها.

فلما قرَّر هذه القاعدة، انتقل إلى مسائل مهمة في العقيدة، فقال:

قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ الله: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلَاثِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ).

وهذه المسائل الثلاث من المسائل العظام، وهي كالتالي:

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤)- كتاب العلم/ باب العلم قبل القول والعمل.

قوله: (الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ. والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

هذه المسألة الأولى: قرَّر فيها أنَّ الله هو الذي خلق الخلق كلَّهم، وأوجدهم في هذه الحياة، وهو المتفرد بذلك، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، وأما غيره من الآلهة الباطلة فلم يخلقوا من الكائنات شيئًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

والله جلَّ وعلا لما خلق الخلق تكفَّل بما يعيشهم ويصلحهم، فقدَّر الأرزاقَ، وتكفَّل برزق كل دابة على وجه الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

فهو الذي يرزق الطير في أوكارها، والحيتان في بحارها، والنمل في جحورها، والأجنة في بطون أمهاتها، كل شيء عنده مقدَّر، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وهذا دليل على عظمته ورحمته وحكمته وقدرته سبحانه وبحمده، وقد كتب رزق كل دابة قبل إيجادها، فلا يمكن أن يحصل غير ما قدَّر، كما في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ**

مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[(١)].

ولما خلق الثقلين لم يتركهم مهملين معطلين سدى، بل أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ليُبَيِّنوا لهم ما يُحِب وما يَبغض، وما يُرضيه وما يَسخطه، ووعد من أطاع الرسل بالجنة ومن عصاهم بالنار، وأوجدهم في هذه للابتلاء والاختبار ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك: ٢].

فمن اتبع المرسلين وأطاع رب العالمين فالجنة موعده، ومن عصاهم فالعذاب ينتظره، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٣- ١٤].

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**[(٢)].

فالله سبحانه ما خلق الخلق إلا لحكمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فالإنسان خُلِق لعبادة الله وطاعته، وسخَّر الله له كل شيء ليستعين به على عبادة الله.

فعلى المسلم أن يعرف الغاية من إيجاده وخلقه، فلا يغفل عنها، ولا يميل إلى غيرها من اللهو واللعب، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وليعلمْ أن الشيطانَ حريصٌ على إضلاله وإشغاله عما خُلِق لأجله، ولن ينجو إلا من سَلَّمَ الله، كما ذكر الله عن إبليس ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٣].

قوله: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضى أَنْ يُشرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]).

هذه المسألة الثانية: وهي أن الله سبحانه خلق الخلق وأوجدهم ودبَّر أمورهم ليقوموا بعبادته وحده؛ لأنهم عبيده وملكه، ولا يرضى أن يصرف الخلق شيئًا من عبادته -ولو كان قليلًا، ولو كان مثقال ذرة- لأحد من الخلق، ولو كان أكرم الخلق عليه وهم الأنبياء والملائكة؛ لأنه المستحق للعبادة وحده، والخلق عبيدٌ مملوكون لا يستحقون من العبادة شيء.

❑ **والشرك أظلم الظلم؛** لأنه وضع الشيء في غير محله، وصرف حق الخالق للمخلوق، ولذا قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال الرسول ﷺ: «**حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»(١)، فإذا كان الله جلَّ وعلا لا يرضى أن يُصرف شيئًا من العبادة لهؤلاء الكرام عليه، فغيرهم من باب أَوْلَى، فمن صرف شيئًا من الدعاء أو التوكل أو الرجاء أو النذر أو الذبح أو الاستغاثة لأحد من الخلق فهو ضالٌّ وظالمٌ وكافرٌ برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(١) رواه البخاري (٦٢٦٧)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ رضي الله عنه.

وقد أبطل الله كلام من زعم أن صرف شيء من العبادة للصالحين يُقَرِّبهم من الله، فقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قوله: قوله: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ. وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

قرَّر هنا مسألة كبرى، وأصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان **وهو: موالاة أهل الإيمان ولو كانوا بعيدين، ومعاداة من حادّ الله ورسوله** ولو كان أقرب قريب، وقد قرَّر الإسلام هذا الأصل وجعله من أصول الإيمان، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]، وحَرَّمَ اللهُ على أهل الإيمان اتخاذ الكفار أولياء، فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ

مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

وألْحَقَ سبحانه من والى الكفار بهم وجعله منهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من أُسس ملة إبراهيم، كما بيَّن سبحانه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّخرُف: ٢٧].

فمن الواجبات ولوازم التوحيد معاداة الكفار، ولذا قال الرسول ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[(١)] رواه مسلم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «أَحِبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغِضْ لِلَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُواخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَا لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه ابن المبارك وفيه ضعف[(٢)].

وهذا الأصل أخلَّ به كثير من الناس، فوالوا الكفار وأكرموهم، ومنحوهم غاية الحب والمناصرة، ودافعوا عنهم باللسان والسنان.

ومنهم: من عادى أهل الإيمان وضيَّق عليهم وأبغضهم، وهذا تفريط كبير بهذا الأصل العظيم الذي قرَّره القرآن في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

(١) رواه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٩٦). وفي إسناده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وليس من صفات المؤمنين بل من صفات أهل النفاق والزيغ، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

قال أبو الوفاء بن عقيل: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أبناء الزمان فلا تنظر إلى ازدحامهم على أبواب المساجد، ولا إلى ضجيجهم بلَبَّيك، ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة».

إذا عُلم هذا فعلى المسلم أن يتبرأ من الكفار بقلبه، فيكره كفرهم ويبغض أهله، ويتبرأ منهم بجوارحه، وهذا حسب طاقته، فإن قدر أن ينكر عليهم باللسان فإن هذا من البراءة منهم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الممتحنة: ٤].

مسألة:

موالاة الكفار محرمة بدلالة الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

فعلى المسلم أن يحرص على أن يبعد الكفار، ولا يُدْنِيهم، وأن لا يستعملهم في حوائجه إلا ما لا بُدَّ منه، وليستعمل المسلمين، لكن إذا كان في استعمالهم مصلحة ظاهرة أو درء مفسدة ظاهرة فلا بأس مع عدم الموالاة، ويعاملهم حسب ما جاء في الشريعة.

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما قال: إن لي كاتبًا نصرانيًا، فقال له: ما لك قاتلك الله؟ أما سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا